من تراث الكوثري
٤٧

إقامة البرهان
على نزول عيسى في آخر الزمان

تأليف
خادم الحديث النبوي الشريف
العلامة أبو الفضل عبد الله بن محمد بن الصديق
الغماري الحسني الإدريسي
من كبار علماء الأزهر الشريف

قدم له
فضيلة الأستاذ الكبير
محمد زاهد الكوثري

الناشر
المكتبة الأزهرية للتراث
٩ درب الأزبكية خلف الجامع الأزهر الشريف

بطاقة فهرسة
فهرسة أثناء النشر إعداد الهيئة العامة لدار الكتب والوثائق القومية
إدارة الشئون الفنية

الإدريسي ، أبو الفضل عبد الله بن محمد بن الصديق الغماري الحسني إقامة البرهان علي نزول عيسي في آخر الزمان / تأليف أبو الفضل عبد الله بن محمد الصديق الغماري الحسني الإدريسي ، قدم له محمد زاهد الكوثرى . ـــ ط 01 ـــ . القاهرة : المكتبة الأزهرية للتراث ، 2006
132ص ؛ 24 سم . (من تراث الكوثرى ؛ 47)
تدمك 3 - 126 - 315 - 977
1- الحديث
أ - الكوثرى ، محمد زاهد (مقدمه) 230
ب- العنوان

رقم الإيداع : 13700 / 2006

إهـداء الكـتاب

إليك سـيـد المرسلين . وخـاتم النبـيين. وإمام المتـقين، وقـائد الغـر المحجلين، أهدى كتابى هذا - الذى دافعت به عن سنتك ونفيت عنها - بقدر استطاعتى - تحـريف الغالين. وانتحال المبطلين. وتأويـل الجاهلين. لا أبتغى بذلك إلا أن تكون شفيعًا لى يوم يقوم الناس لرب العالمين.

ولن يضيق رسـول الله جاهك بى

إذا الكـريم تجـلى باســم منتـقم

خادم حديثك

عبد الله بن محمد بن الصديق

مارى

بسم الله الرحمن الرحيم

كلمة فضيلة الأستاذ الكبير
الشيخ محمد زاهد الكوثري

كان بينى وبين الاستاذ الكوثري صلة وثيقة، رغم سعى بعض الحاقدين لإفسادها، وكان يقدرنى كثيرا ، حتى إنى لما استجزته قبيل وفاته بسنة استجازنى ، وكان يسألنى عن الأحاديث التى يسأله عنها بعض الناس، واستمرت صلتنا كما هى إلى وفاته، رحمه الله وأثابه رضاه .

المؤلف

فضيلة الأستاذ العلامة المحدث الناقد السيد عبد الله الصديق الغماري - حفظه الله - له براعة فياضة تفيض تحقيقًا كلما جد الجد، ووجب الرد ، فتوقف المتهجمين على معتقد الجماعة عند حدهم، ولم تزل مواقف فضيلته ضد المشبهة، ونفاة التوسل، والمغالين فى استنكار المحاريب ماثلة أمامنا، تشهد له بنبل الرأى ودقة النظر ، وغزارة العلم ، والبراعة فى الرواية والدراية، فيتوالى شكر أهل العلم والدين من أعماق القلوب على إجادته البالغة فى الرد عليهم ، وقد أعد الله سبحانه له مثوبة عظيمة بقدر ما له من الإخلاص فى العمل ، والنجاح فى الجهاد ، والإجادة فى الدفاع عن حوزة الدين. وها هو ذا قد وقف بالأمس الدابر وقفة الأسد فى الرد على مشايع للرشيد القلونى[1] - الجارى وراء الدكتور صدقى المعروف - فى إنكار نزول

(١) هو الشيخ رشيد رضا صاحب المنار .

عيسى عليه السلام فى آخر الزمان فقضى عليه بمقالاته الممتعة المنشورة حديثا فى مجلة الإسلام الغراء فندعو الله سبحانه أن يرعاه ويكافئه على ذلك مكافأة المحسنين ويكثر من أمثاله فى حراسة الدين، والدفاع عن معتقد المسلمين . ومما يؤسف له أن يوجد بين صفوف حراس الدين ، من تتغلب عليه شهوة الظهور بالتجرؤ على العقيدة المتوارثة جريًا وراء الاستبعاد العقلى المجرد فيما لا يحيله العقل، مع توارد الكتاب والسنة وإجماع علماء أهل السنة والجماعة على تحتم الأخذ بها ولا يكون ذلك إلا تزندقًا مكشوفًا فى سبيل التجدد ، وفى مثله يقول الشاعر العربى.

تزندق معلنًا ليقول قوم ... من الأدباء زنديق ظريف

فقد بقى التزندق فيه وصمًا ... وما قيل الظريف ولا الخفيف

وليس شىء أثقل من ذلك على نفوس الأباة الكرام ، ومحاولة المرء لوزن قدرة الله جل جلاله بمعياره الخاسر العيار، وعقله القاصر عن إكتناه جزء من الكون ، فضلا عن اكتناه صفة من صفات مكون الأكوان ، تدل على أنه مصاب فى عقله قبل أن يصاب فى دينه، والركض وراء ذلك الاستبعاد المجرد يدل على فقد الإيمان بالغيب ، والاقتصار على المحسوس شأن البهيم، فنعوذ بالله من الخذلان . وفى مسألة رفع عيسى عليه السلام حيًا ونزوله فى آخر الزمان تضافر الكتاب والسنة وإجماع أهل السنة والجماعة، فقوله تعالى: ﴿**وَإِن مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلاَّ لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ**﴾ بمعنى ليس أحد من أهل الكتاب إلا ليؤمنن بعيسى قبل موت عيسى لأن عود ضمير (قبل موته) إلى عيسى هو مقتضى الرواية حيث صح ذلك عن أبى هريرة - رضى الله عنه - واستفاض عن ابن عباس رضى الله عنهما بدون

أن يصح ما يناهض ذلك عن أحد من الصحابة، ولأن عود ذلك الضمير إلى عيسى هو مقتضى الدراية أيضًا حيث يلزم من عوده إلى غير عيسى - وهو أحد من أهل الكتاب - أن يؤمن كل كتابى من اليهود وغيرهم قبل موته بعيسى ، فإما أن لا يعتد بذلك الإيمان، فينافيه إقسام الله سبحانه عليه ، وإما أن يعتد به فلا يكون يهود ولا نصارى ، بل يكون الجميع ملة واحدة ، مع أن الإجماع على عدم رد اليهود والنصارى إلى غير أهل دينهم فى المواريث وسائر الحقوق يدل على تمايز الملتين ، وعلى أن اليهود يهود والنصارى نصارى، ما لم نعلم اهتداء أحد منهم إلى الإسلام فنحكم فيه أنه مسلم. فلو كان يهودى يؤمن قبل موته بعيسى عليه السلام ما صح رد ورثته إلى اليهود ، وقال الزهرى: «مضت السنة على أن يرد أهل الكتاب فى حقوقهم ومواريثهم إلى أهل دينهم إلا أن يأتوا راغبين فى حكم الله فيحكم بينهم بكتاب الله» وحيث استحال عود ذلك الضمير إلى غير عيسى للسبب المشروح، تعين عوده إلى عيسى من جهة الدراية أيضًا، وهكذا تطابقت الرواية والدراية على أن موت عيسى عليه السلام يكون بعد نزوله فى آخر الزمان، وإذ ذاك يكون الجميع أمة واحدة بإيمانهم كلهم بما يدعو إليه عيسى إذ ذاك وهو دين الإسلام. ثم الضمير فى قوله تعالى: ﴿وَإِنَّهُ لَعِلْمٌ لِلسَّاعَةِ﴾ يتعين إرجاعه إلى عيسى عليه السلام أيضًا ، لأنه هو المذكور في سياق الآية ولا ذكر للقرآن فى السياق حتى يستساغ إرجاعه إليه دراية. وأما من جهة الرواية فلم يصح عن أحد من الصحابة خلاف ما استفاض عن ابن عباس من إرجاع الضمير إلى عيسى عليه السلام، فتطابقت هنا أيضًا الدراية والرواية على أن عيسى سبب علم للساعة، حيث يعلم بنزوله قيام الساعة كما تواترت السنة وتطابق

الاجماع على ذلك، وأما ما وقع فى تفسير سورة المائدة - فى غير مظنته - من صحيح البخارى من قوله : «قال ابن عباس : متوفيك مميتك» فخلو عن السند فلا يصلح للاحتجاج به وكم له من هذا القبيل فى كتاب التفسير مما لا يحتج به عند أهل الصنعة. وهذه الرواية واردة بطريق عبد الله بن صالح عن معاوية الحضرمى عن ابن أبى طلحة عن ابن عباس ، عن ابن جرير وغيره. فعلى بن أبى طلحة لم يدرك ابن عباس اتفاقًا، ففى الرواية انقطاع ثم ابن أبى طلحة والحضرمى وعبد الله كاتب الليث مختلف فيهم، وليسوا من شرط البخارى فأنى تصح رواية هذا شأنها ؟ حتى يتصور أن تناهض ما صح واستفاض عن أبى هريرة وابن عباس رضى الله عنهما، على أن حملها على التقديم والتأخير - مثل واسجدى واركعى - كما فعل الفراء وغيره يجعلها متفقة مع الرواية الصحيحة هـ.

وليس ما فى العتبية من عزو موته - وهو ابن ثلاث وثلاثين - إلى مالك رضى الله عنه بصالح أن يكون عذرًا لمن شذ وقال بموته حيث لا مستند له من الكتاب والسنة والاجماع ، إزاء تلك الجبال الشواهق من الحجج على أن العتبية المعروفة بالمستخرجة اشتهرت بين المالكية بأنها مجمع الروايات المطروحة ، والمسائل الشاذة ، وأن جامعها كان يؤتى بالمسألة الغريبة فإذا أعجبته قال أدخلوها فى المستخرجة . بل قال ابن عبد الحكم رأيت جلها كذبًا ومسائل لا أصول لها ، فالاغترار بها اغترار فى غير محله ، إلا أن حب الشذوذ مرض فى بعض النفوس. وبعد هذا الاستطراد نعود فنقول :

إن فضيلة الأستاذ الغمارى وفَى بوعده وأتم تأليف كتابه البديع المسمى «إقامة البرهان على نزول عيسى فى آخر الزمان» وأحسن كل الاحسان ، فى

إقامة الحجج من الكتاب والسنة والإجماع على المسألة ، وقد سرد فيه من طرق حديث النزول ما يشهد له بالتوسع البالغ فى الحديث ويسجل له كل فخر على ناصية الدهر ، فأبان بذلك قوة تواتر هذا الحديث عند كل منصف غير متعسف، فيكون كتابه الخالد هذا حارسًا لقلوب الأجيال المقبلة، من أن يتسرب إليها شكوك المشككين من القاديانيين وأذيال القاديانيين، حيث لم يدع ناحية من نواحى هذا الموضوع بدون أن يقتلها بحثًا ، فيقتنع المطالع المتبصر بمجرد مطالعته بتواتر خبر نزوله عليه السلام فى آخر الزمان ، وهذا قاض على الشق الأول من زعم المردود عليه بأن «نزول عيسى عليه السلام إنما ورد بطريق الآحاد وخبر الآحاد لا يفيد عقيدة» وأما الشق الثانى فلا يمشى إلا على النقل الشاذ من الأشعرى المردود عند المحققين ، لأن العقد الجازم هو المعتمد شرعا وهذا قد يحصل بخبر الآحاد، وبالتقليد كما يحصل بالبراهين المفيدة للعلم وفى قصر الاعتداد فى العقد الجازم على إيمان أهل البرهان إكفار لدهماء الأمة، وهذا يكون مجازفة شنيعة ، بل إفادة خبر الآحاد العلم رأى كثير من علماء هذه الأمة ، ولا سيما عند احتفافه بالقرائن ، وخاصة فيما أخرجه الشيخان من غير منازع أو اتفقت الأمة على الأخذ به ، بل لا يرد خبر الآحاد عند أهل العلم إلا عند مخالفته لكتاب الله أو سنة رسوله المتواترة أو المشهورة أو عند ما عده العقل محالا فيما لا يحتمل التأويل لأن الشرع إنما يرد بمجوزات العقول لا بما تحيله كما فى «الفقيه والمتفقه» للخطيب البغدادى وغيره. وصفوة القول أن المؤلف أجاد كل الإجادة فى تأليفه هذا ، فندعو الله سبحانه أن يكافئه على هذه الإجادة ، وأن يوفقه لتأليف كثير من أمثال فى خير وعافية، وأن ينفع به المسلمين .

محمد زاهد الكوثرى

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

اللهم لك الحمد كله. ولك الملك كله. وبيدك الخير كله. وإليك يرجع الأمر كله. علانيته وسره. لك الحمد إنك على كل شيء قدير. اللهم صلى وسلم وبارك على عبدك ونبيك سيدنا محمد المبشر النذير. والسراج المنير. الذى ختمت به الأنبياء. وفضلته على جميع الرسل والأصفياء. جعلته نبيًا وآدم بين الروح والجسد. وحكمت لشريعته بالبقاء إلى آخر الأبد. خلقته نورًا قبل خلق الأشياء، ثم بعثته مشعًا بعد أن عمت هذا العالم ظلمات الشرك والجهل والجور والشقاء. فعم الأرض نوره وعلمه. ووسع الناس عدله وحلمه. فهو الفاتح الخاتم. ورسول الله إلى جميع العوالم. لا نبى بعد نبوته. ولا شرع غير شرعته وملته. فأبلغه اللهم منا أفضل الصلوات. وأزكى التسليمات، وأجزه عنا بأجزل الخيرات. وأجل المكرمات. وارض اللهم عن آله الطيبين الطاهرين. وصحابته الأكرمين وعمن تبع طريقهم بإحسان من غير تحريف ولا تبديل إلى يوم الدين. ووفقنا اللهم فيما انتدبنا له من الدفاع عن سنته. وأدم هدايتنا بدوام اتباع هديه وطريقته. حتى نحشر يوم العرض فى زمرته. ونكون من أسعد من يسعد بشفاعته. بفضلك وكرمك يا ذا الفضل العظيم. ويا صاحب الكرم الواسع العميم.

أما بعد: فقد ظهر فى هذه الأزمان المتأخرة، طائفة كافرة خاسرة. تدعى الإسلام وهو منها براء. وتنشر بلسانه - فى زعمها - آراء . كلها ضلال وإفك وافتراء. تزعم فى شأن زعيمها غلام أحمد القاديانى أنه نبى ظلى يوحى إليه. ومعنى الظلية فى كلامهم أنه لم يأت بشرع جديد. وإنما بعث ليصلح ما أفسدته يد الحدثان فى شريعتنا الحنيفية السمحة ، ويشبهون حالة نبوته وإصلاحه بحال عيسى عليه الصلاة والسلام، حيث بعث تابعًا للشريعة الموسوية ومصلحًا لما حرف من أحكامها وتعاليمها . وتالله إن زعمهم ذاك لباطل. وإن تشبيههم هذا لخال عن الجامع، وعن حلية الحق والتحقيق عاطل. ذلك أن عيسى بن مريم عليهما السلام رسول كريم. بعثه الله فى وقت لم تنقطع فيه النبوة والرسالة. لاحتياج الناس إذ ذاك إلى من يزيل ما ران على قلوبهم وعقولهم من الجهالة والضلالة. مع ما ثبت من تحريف اليهود للتوارة وتبديلهم للأحكام التى أنزلها الله كما شهد به القرآن، وأثبته التاريخ الصحيح. واعترف به علماء اليهود أنفسهم باللفظ الصريح. فلما بعث الله نبيه محمدًا صلى الله عليه وآله وسلم بدينه الذى أكمله وارتضاه، حيث قال جل علاه: ﴿**إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللَّهِ الإِسْلامُ**﴾، وقال عز ذكره ﴿**الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلامَ دِينًا**﴾ ولم يقبل دينًا غيره حيث قال تبارك وتعالى ﴿**وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلامِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ**﴾. وتولى حفظه بذاته حيث قال عز وجل ﴿**إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ**﴾ . لم يبق للناس - بعد هذا - حاجة إلى نبى أو رسول. لحصول كمال الكفاية. فى تمام الرشد والهداية. بنبيهم الأكرم. ورسولهم الأعظم، إذ خلف فيهم الكتاب والسنة ، فيهما بيان كل شىء

مما يحتاج إليه العباد فى دينهم ودنياهم. فى معاشهم ومعادهم. وتركهم على المحجة البيضاء الواضحة المعالم والمسالك. ليلها كنهارها لا يزيغ عنها إلا هالك فلهذا ختمت النبوة بمحمد صلى الله عليه وآله وسلم ، فلم يكن بعده نبى كما قال الله تعالى ﴿**مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِن رِّجَالِكُمْ وَلَكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ**﴾ . وفي الصحيح عن جابر عن النبى صلى الله عليه وآله وسلم قال : «**مثلى ومثل الأنبياء كمثل رجل بنى دارًا فأتمها وأكملها إلا موضع لبنة فجعل الناس يدخلونها ويتعجبون منها ويقولون لولا موضع اللبن، قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فأنا موضع اللبنة جئت فختمت الأنبياء**» وفى الصحيح أيضًا عن سعد قال ، قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لعلى: « أنت منى بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبى بعدى». وفى رواية فى الصحيح أيضًا : «**أما ترضى أن تكون منى بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبوة بعدى**» والحديث متواتر ، له أكثر من عشرين طريقًا استوعبها الحافظ ابن عساكر فى كتاب خاص، وفى الصحيح أيضًا من حديث ابن أبى أوفى: ولو قضى أن يكون بعد محمد نبى لعاش ابنه ولكن لا نبى بعده وقال ابن حبان فى صحيحه: أخبرنا عمر بن محمد الهمدانى ثنا عبد الملك بن سليمان القرقسانى ثنا عيسى بن يونس ثنا عمران بن سليمان القمى عن الشعبى قال سمعت فاطمة بنت قيس تقول: صعد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلام المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال «**أنذركم الدجال فإنه لم يكن نبى قبلى إلا وقد أنذر أمته وهو كائن فيكم أيتها الأمة إنه لا نبى بعدى ولا أمة بعدكم ألا إن تميمًا الدارى أخبرنى**» وذكر حديث الجساسة والأحاديث فى هذا المعنى كثيرة جدًا، وهى قطيعة الثبوت والدلالة لتواترها وصراحة ألفاظها .

ولذا كان من مسائل الدين وقواعده الضرورية المجمع عليها أن من أعتقد أو ادعى وجود نبى ينبأ فى هذه الأمة بعد نبيها محمد صلى الله عليه وآله وسلم أوشك فى متنبئ ادعى النبوة بحيث لم يجزم بكذبه. فهو كافر مرتد حلال الدم والمال. يستتاب فإن تاب قبل. وإلا قتل.

على هذا اتفق المسلمون قاطبة لا فرق بين عالم وجاهل ولا بين سنى وغيره. قال ابن حزم الحافظ فى كتاب مراتب الإجماع: باب من الإجماع فى الاعتقادات يكفر من خالفه بإجماع. اتفقوا أن الله عز وجل وحده لا شريك له خالق كل شىء غيره وأنه تعالى لم يزل وحده ولا شىء غيره معه، ثم خلق الأشياء كلها كما شاء ... إلى أن قال: وأن دين الإسلام هو الدين الذى لا دين لله فى الأرض سواه، وأنه ناسخ لجميع الأديان قبله وأنه لا ينسخه دين بعده أبدًا، وأن من خالفه ممن بلغه كافر مخلد فى النار أبدًا... وأنه لا نبى مع محمد صلى الله عليه وسلم ولا بعده أبدًا واتفقوا أنه مذ مات النبى صلى الله عليه وسلم فقد انقطع الوحى وكمل الدين واستقر أ هـ.

وقال الحافظ ابن كثير فى تفسيره عند الكلام على قوله تعالى «وخاتم النبيين» ما نصه: وقد أخبر الله تعالى فى كتابه ورسوله فى السنة المتواترة عنه أنه لا نبى بعده ليعلموا أن كل من ادعى هذا المقام بعده فهو كذاب أفاك دجال مضل ا هـ.

وقال الألوسى فى تفسيره ما نصه: وكونه صلى الله عليه وسلم خاتم النبيين مما نطق به الكتاب وصدعت به السنة وأجمعت عليه الأمة فيكفر مدعى خلافه ا هـ.

فعلم مما ذكرناه أن ذلك الغلام القادياني ليس بنبى كما يزعم هو وطائفته، ولكنه أحد الدجالين الذين أخبر النبى صلى الله عليه وآله وسلم

أنهم يدعـون النبـوة ، قـبل الدجـال الأعظم الذى يدعى الألوهيـة، فـفى الصحيح عن جـابر ابن سمرة قال : سمعت رسـول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: «**إن بين يدى الساعة كـذابين**». وفى الصحـيح أيضًا عن أبى هريرة عن النبى صلى الله عليه وآله وسلم قال: «**لا تقوم الساعة حتى ينبعث دجالون كذابون قريب من ثلاثين كلهم يزعم أنه رسول الله**».

وروى ابن حبان فى صحيحه ثنا محمـد بن عبد الله بن الجنيد ثنا قتيبة ابن سعيـد ثنا حماد بن زيد عن أيوب عن أبى قلابة عن أبى أسـماء الرحبى عن ثوبان قال: قال رسـول الله صلى الله عليه وآله وسلم «**إن الله زوى لى الأرض فرأيت مـشارقهـا ومغـاربها**»، وذكر الحديث بأطول ممـا فى صحيح مسلم وقال فى آخره: «**وإنه سيكون فى أمتى ثلاثون كذابًا كلهم يزعم أنه نبى وإنى خاتم النبيين لا نبى بعدى ولن تزال طائفة من أمتى على الحق ظاهرين لا يضرهم من خالفهم حتى يأتى أمر الله**» .

وروى الطبرانى وغـيره عن نعيم بن مـسعود عن النبـى صلى الله عليه وآله وسلم قال «**لا تقوم الساعة حتى يخرج ثلاثون كذابًا كلهم يزعم أنه نبى**» وروى أحمد والطبرانى والضياء وغـيرهم عن حذيفة عن النبى صلى الله عليه وآله وسلم قال: «**فى أمتـى كذابون ودجالـون سبعـة وعشـرون ، منهم أربع نسوة وإنى خاتم النبـيين لا نبى بعدى**»، وعزاه الحافظ الهيـثمى للبزار أيضًا: وقال : رجاله رجال الصحيح ا هـ.

وفى المسند وغـيره عن جـابر عن النبى صلى الله عليه وآله وسـلم قال: «**بين يدى الساعة كـذابون منهم صاحب اليمامة ومنهـم صاحب صنعاء العنسى ومنهم صاحب حـمير ومنهم الدجـال وهو أغلظهم فتنة**»، قال جابر وبـعضهم

يقول قريبًا من ثلاثين كذابًا . وعزاه الهيثمى للبزار أيضًا، وقال: فى إسناده عبد الرحمن بن مغراء وثقه جماعة وفيه ضعف وبقية رجاله رجال الصحيح: قال ، وفى سنده أحمد ابن لهيعة وهو لين ا هـ .

والأحاديث فى هذا كثيرة ، والعدد المذكور فيها للتقريب لا للتحديد وفيها معجزة من معجزات النبى صلى الله عليه وآله وسلم، حيث وقع الأمر كما أخبر وظهر فى الأمة كذابون متنبئون فيهم نساء كسجاح وغيرها، ومن أحدث هؤلاء المتنبئين عهدًا هذا الغلام القادياني الذى انبعث فى الهند شيطانًا من شياطين الإنس، فشق عصا المسلمين وفارق جماعتهم وفرق كلمتهم، وبشر بمذهبه فى كثير من البلاد خارج الهند على أنه مذهب إسلامى صحيح. وهو والله مذهب الكفر الصريح. من اعتنقه خسر الدنيا والآخرة وباء بالضلال المبين . وكان يوم القيامة مع الكفرة الفجرة لا فى زمرة المسلمين.

وقد اتبعه ضعفاء العقول. من كل مختلف جهول. لا يفهم ما يقال له ولا يفقه ما يقول. وهذا شأن الباطل لا يروج إلا على الطغاة والجهلةالذين هم كالأنعام. ومع أن الحق واضح أبلج. وطريق الإسلام مستقيم غير ذى عوج. نجد من ينحرف ذات الشمال وذات اليمين، ويترك الهدى والنور لقول كذاب مهين، فنعجب ولكن سرعان ما يذهب عجبنا حين نقرأ قول الله تعالى: ﴿ **وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ * إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ** ﴾ .

فصل

ثم إن هؤلاء القاديانيـة أو الأحمدية كما يتـسمون ينحصـر كلامهم فى عدة دعاوى نلخصها فيما يلى :

أحدها : أن عيسى عـليه السلام مات وانتهى أمره ولا سبـيل إلى رجوعه فى آخر الزمان وأن رفعه الوارد فى القرآن رفع معنوى.

ثانيها : إنكار الدجال والدابة وغيرهما من أشراط الساعة الكبرى التى تواترت بها الأحاديث واتفقت عليها الأمة.

ثالثهـا : ترك الاحتـجاج بالسنة مطلقًا لا فـرق بين متـواترها وآحادها إلا إذا وافقت القرآن بحسب فهمهم .

رابعـها : وهى مـترتبـة على التى قبلهـا أنه ليس فى القـرآن دليل يدل على انقطاع النبوة، وقـوله تعالى: ﴿وَلَكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ﴾ معناه الختم والطابع أى أن محمداً عليه الصلاة والسلام بالنسبة للأنبياء كالختم الذى يختم به على الشهادة مثلا، وليس فى هذا ما يدل على أنه لا نبى بعده!! بل قوله تعالى: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلاَّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ﴾ يدل عندهم على وجـود نبى بعده!! وبناءًا على ذلك تكـون الأحاديث المصرحة بأنه لا نبى بعده مخالفة للقرآن فلا يعمل بها !!

خامسها : أن غلام أحمد نبى يوحى إليه ، وأنه رسول العالم الموعود!!

وقد يتغـالى بعضهم فيحـمل قوله تعالى: ﴿وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ﴾ على غلامهم القادياني.

هذه أصول دعواهم وأهمها وسائر كلامـهم يتفرع منها أو يرجع إليها ،

وهى دعاوى - كما ترى - كلها كفر وضلال ، إذا اعتقد الشخص واحدة منها خرج عن ملة الإسلام ، فكيف إذا اعتقد جميعها ؟ بل كيف إذا كان يدافع عنها ويحاول تثبيتها فى عقول المسلمين بكل حيلة!؟ لا شك أن من فعل ذلك فكفره أشد ، وعذابه أكثر وأقبح ، نسأل الله العفو والعافية.

فصل

ثم إنهم دائبون على نشر دعاواهم المذكورة بمختلف الحيل والأساليب ، فطوراً يتقدمون بها فى صورة سؤال، مكتفين أن يرد فى الجواب كلمة يكون فيها تأييدهم، وحيناً يقدمونها أقوالاً مسلمة لا تحتمل النزاع والجدال، وتارة يغرون على اعتناقها بالنشب والمال، إلى غير هذا مما يختلف باختلاف الأشخاص والأحوال، وهم فى كل ذلك جهلة لا يفهمون العلم، وإن فهموا شيئاً فلا يحسنون الفهم ، ليس لهم قواعد وأصول يرجعون إليها عند البحث والمناظرة، وإن دعاهم مناظرهم إلى كتب الأصول الإسلامية وقواعدها المحكمة هربوا كأنهم حمر مستنفرة فرت من قسورة ، الكلام معهم مضيعة ، وتعب فى غير منفعة ، لأنهم كما قلنا لا يفهمون ، فهم لأجل ذلك لا ينصفون ، وليجرب من شك فى هذا يلق من جهلهم وتعصبهم ما لا يصفه الواصفون.

وكان من أحدث ما فعلوه لترويج أباطيلهم وإعادة ذكرها على الأسماع والأذهان ، بعد إذ نسيت مدة من الزمان، أن تقدم أحدهم بسؤال إلى مشيخة الأزهر جاء فيه: «هل عيسى حى أو ميت فى نظر القرآن الكريم والسنة المطهرة وما حكم المسلم الذى ينكر أنه حى وما حكم من لا يؤمن به إذا فرض أنه عاد إلى الدنيا مرة أخرى؟».

هذا ملخص ما جاء فى ذلك السؤال ولم يكن مقدمه مستفيداً مسترشداً إذ لو أراد الاستفادة والاسترشاد لوجد فى الكتب التى ألفها علماء الهند فى هذه المواضيع باللغتين العربية والأردية ما يشفى علته ويروى غلته، إذ قد ألف العلامة المحدث الكبير محمد أنور الكشميرى الديوبندى رحمه الله وأثابه رضاه، ثلاث رسائل، الأولى عقيدة الإسلام فى حياة عيسى عليه السلام وعمل عليها حاشية سماها تحية الإسلام، الثانية، التصريح بتواتر نزول المسيح، الثالثة، اسمها «خاتم النبيين»، وكلها مطبوعة وللعلامة الكشميرى المذكور منزلة كبيرة فى نفوس المسلمين هناك لم يكتسبها من مركزه الرسمى فحسب بل بما له من علوم ومواهب، وبما ألفه من الكتب فى الدفاع عن الدين، والرد على الملحدين.

وقد ألف غيره أيضًا من العلماء، فى هذه الأشياء بحيث لم يتركوا لقائل مقالا، هذا غير ما ألقى من محاضرات، وما عقد من اجتماعات تشتمل على مناظرات ومجادلات، مما نشر كله أو جله فى الجرائد والمجلات، إذن فذلك السائل لم يكن بسؤاله مستفيداً مسترشداً ولكنه حاول أن ينتزع من هيئة دينية رسمية ما يجعله متكأ له يتوكأ عليه فى دعاواه فأفلحت محاولته، ونجحت حيلته !!

وصدر العدد الثانى والستون بعد الأربعمائة من مجلة الرسالة يوم الاثنين الخامس والعشرين من شهر ربيع الثانى سنة ١٣٦١ الموافق ١١ من مايو عام ١٩٤٢ يحمل فتوى عنوانها «رفع عيسى» ومضمونها أن عيسى عليه السلام مات موتًا حقيقيًا، وأنه لم يرفع بجسمه إلى السماء وأنه لا ينزل فى آخر الزمان وأن الأحاديث الواردة فى ذلك آحاد وأن الآحاد لا يعمل به فى

العقائد والمغيبات بالإجماع وأنها مضطربة اضطرابًا لا مجال معه للجمع بينها

وأنها فوق ذلك من رواية وهب بن منبه وكعب الأحبار، وأن درجتهما عند أهل الحديث معروفة - أى أنهما غير مقبولين أو غير ثقتين - إلى غير هذا مما جاء فى تلك الفتوى التى صادمت الإجماع وخالفت الأحاديث المتواترة ، ونابذت ما تواطأت عليه كتب التفسير والعقائد ودعت إلى إهدار الأحاديث النبوية الصحيحة فى بعض مسائل الدين بدعوى أنها آحاد وحادت بجملتها وتفصيلها عن الصراط السوى والطريق القويم .

فصل

وقد اتخذ القاديانية تلك الفتوى عدة لهم وسلاحا وأخذوا يطوفون بها على المسلمين الذين كانوا يسفهون أحلامهم، ويخطئون آراءهم، وهم فرحون مستبشرون، يقولون بلهجة الظافر المنتصر: ها هو ذا الأزهر يوافقنا ويخالفكم، فليس عيسى بحى ولا هو مرفوع . ولا هو نازل كما تزعمون فأين تذهبون؟!(١).

تحققنا هذا ولمسناه تارة بسماع صحيح الخبر ، وأخرى بمشاهدة البصر فرأيت أن اكشف من تلك الفتوى عوارها. وأمحو عن علماء الأزهر عارها. فألفت هذه الرسالة ، واختطفت من بين أنياب العوائق هذه العجالة ، وأعددتها على ضعف فى الاستعداد . وقلة من الموارد. وأجهدت نفسى فى تنسيقها، رغم تراكم الأهوال. وتفاقم الأحوال. وتوالى البلبال. وسميتها.

---

(١) ونشرت جريدة البشرى القاديانية التى تصدر فى بيروت فى عدديها ٥ و ٦ أن الأزهر يعترف بوفاة المسيح الناصرى !!.